

قراء الحادث العراقي

سوف يكون على قارئ المشهد العراقي أن يأخذ بفضيلة الصبر، وهو يمضي في الملاحظة. فإنه وقتئذ، بإزاء مشهد تحكمه قوانين جيو-استراتيجية لا قبل له بها. وأما واقع الحال، فهو من التركيب والتعقيد، والتداخل، والمفارقة، ما يجعل حاضر العراق ومقبله مفتوحين على اللأيقين.

لا شيء في الصورة، الآن، وفي القريب المنظور، ما يفضي إلى الوضوح. لا الحرب ألقّت أوزارها، ولا فُتحت للسلام الأبواب المغلقة. وبدا كأن الذي جرى في المنطقة الخضراء ببغداد المحتلة في الثلاثين من حزيران (يونيو) لا يعدو كونه تمريناً غير موفق على سيادة لم تكتمل ولا دتها بعد...

ثمة كثيرون ذهبوا بعد سنة، وبضعة شهور على الاحتلال، إلى أن حال العراق، على الجملة، لا تنفك تمكث في المنطقة الوسطى بين حرب لم تنته، وسلام يوشك على الاستحالة.



كل ما في الصورة يجري مجرى التحول والتبدل وعدم الثبات. لقد بدأ أن الغرب، بأميركييه وأوروبيه، ناهيك ببقية العالم، يدركون حقيقة أن الحرب التي بدأت بقرار لا تنتهي بقرار. وأن التاريخ الذي شنت الحرب عليه بوصفه تاريخ صدام حسين، لم ينته بانتهاء الأخير إلى قصص الاتهام أو إلى منصة الإعدام. أما الجغرافيا التي قيل انها استبيحت وسكنت، عادت تستنتج قوانين جديدة للصراع على التاريخ والسياسة والأمن والاقتصاد والاجتماع.



يُبين جراهام فولر، وهو أحد أبرز استراتيجيي الأمن الأميركيين، «أن الشيء الذي لا تستطيع أن تقوم به أية قوة احتلال، هو منع القوانين الجيوبوليتيكية للعراق من القيام بدورها. فالعراق لن يتوقف عن كونه العراق حتى بعد رحيل حاكمه الدموي».

لكن ثمة من خبراء الغرب واستراتيجيه من يمضي مسافة أبعد. ليرى إلى احتلال العراق بوصفه حادثاً عالمياً مؤسساً لاطروحة جديدة في السياسة والأمن، وفي تداعيات الجغرافيا والتاريخ عند مطلع القرن الحادي والعشرين.

على مثل هذا النحو وسواه يقرأ الغرب الملحمة العراقية. فإنه في ذلك لا يرى إلى خصم مفترض وحسب، وإنما إلى نفسه أصلاً وهي تقف حيال مجال إقليمي سوف يتقرر عليه مآل العالم برمته.

أما كيف بدت لنا هذه القراءة..

ففي هذا العدد من «مدارات غربية» نطل على ما يُسرُّ لنا تعريبه من مقالات ودراسات ووجهات نظر حول الحادث العراقي لمفكرين وخبراء ومتقنين وسياسيين من أوروبا والولايات المتحدة الأميركية.

لسنا نزعم أن هذه الحصيلة التي ورعناها على أبواب العدد، تفي بما ينبغي. لكنها تشير، على الأكيد، إلى محطات. وكذلك إلى عمق القضية العراقية في التفكير السياسي والثقافي والايديولوجي للغرب، إن على مستوى موقع القرار، أو داخل فضاءات الرأي العام.

رئيس التحرير